في وسطِ هذهِ الصورةِ، تقفُ امرأةٌ أمامَ جدارٍ ذي لونَينِ. وتُثنِي ذراعَيْهَا بلطفٍ خلفَ ظهرِهَا، بينما يتجهُ رأسُهَا قليلاً إلى اليسارِ، ليكشفَ عنْ جزءٍ منْ وجهِهَا. إنَّهَا ترتدِي قبعةً حمراءَ بإبزيمٍ على حافَتِهَا، وفستانًا مفتوحَ الظهرِ بلونٍ مرجانيّ. على كتفِهَا الأيمنِ، تُظهِرُ بشرتُهَا الداكنةُ نَدبةً بارزةً بلونٍ أفتحَ. النَّدبةُ مغطاةٌ جزئيًّا تحتَ حزامِ صدريتِهَا السوداءِ وفستانِهَا، وتمتدُ الندبةُ إلى الجزءِ الخلفيّ من ذراعِهَا الأيمنِ، حتَّى تختفِي وتظهرُ بشرتُهَا الطبيعيةُ.

يمكنُنَا أن نرَى فقطِ النصفَ العلويَّ منْ جسمِ المرأةِ. يظهرُ شعرُهَا القصيرُ الملفوفُ تحتَ قبعتِهَا، ولا نستطيعُ رؤيةَ عينَيْهَا ولكنْ يَظهرُ قرطٌ ذهبيٌّ يلمعُ في شحمةِ أذنِهَا اليسرى.

ومنَ الواضحِ بما يكفِي أنَّ الندبةَ الموجودةَ على ظهرِها، ليستْ ناجمةً عن إصابةٍ حديثةٍ رغمَ أنَّهَا لا تزالُ مرئيةً بوضوحٍ. فلقدْ مرَّ وقتٌ كافٍ لشفاءِ جرحِهَا، وعلى الرغمِ من أنَّ الجرحَ قدْ يتلاشى بمرورِ الوقتِ، فإنَّ التذكيرَ بإصابتِهَا الجسديةِ هو شيءٌ منَ المحتملِ أن تحملَهُ معَها لبقيةِ أيامِهَا.

التقطتُ هذه الصورةَ في ليبيريا عامَ 2017، كجزءٍ منْ مشروعِي الشخصيّ الأولِ: عمليةُ إعادةِ التعرُّفِ على أجسامِنَا. لقدْ بدأَ الأمرُ كاستكشافٍ لكيفيةِ تكيُّفِ الناجينَ منَ الإصاباتِ الجسديةِ في كلِّ أنحاءِ إفريقيا معَ أجسامِهِمِ المتغيرةِ، معَ الإشارةِ إلى غيابِ الثقافةِ المفرطةِ المشاعرِ حولَ إيجابيةِ الجسمِ.

قبلَ وقتِ التقاطِ صورةِ هذه المرأةِ، التي تقفُ أمامَ جدارٍ مطليٍّ باللونَينِ الأزرقِ والأبيضِ، كنتُ قدْ أمضيتُ بعضَ الوقتِ في توثيقِ الندوبِ. في هذه المرحلةِ، شعرتُ بالارتياحِ الكافِي للاقترابِ منَ الأشخاصِ وطرحِ أسئلةٍ حولَ إصاباتِهم؛ وعنِ القصصِ الكامنةِ وراءَها؛ وكيفَ يتعاملونَ معَ العلاماتِ التي غيرتْ أجسامَهُمْ.

يدورُ هذا المشروعُ حولَ كيفيةِ تعاملِ الأشخاصِ من مجتمعاتٍ مختلفةٍ معَ ندوبِهِمْ، وما رأيتُهُ في كلِّ أنحاءِ القارةِ قدْ حفَّزنِي لذلك. معظمُ الصورِ التي رأيتُهَا لندوبِ الأفارقةِ التقطَها أشخاصٌ من البشرةِ البيضاءِ، وغالبًا ما كانَتْ تركزُ على أولئكَ الذين وقعُوا ضحايا للانتهاكاتِ المروعةِ أوِ العنفِ أوِ الإرهابِ. لقدْ وجدتُ هذا الأسلوبَ بشعًا. أتذكرُ رؤيةَ صورةٍ لامرأةٍ إفريقيةٍ مصابةٍ بندوبٍ كبيرةٍ، وتجلسُ على الأرضِ من دونِ قميصٍ. لماذا تجلسُ على الأرضِ؟ لماذا لمْ تجلسْ على كرسيّ؟ النَّدباتُ والإصاباتُ الجسديةُ مهمةٌ بالطبعِ، ولكنْ لا يزالُ بإمكانِكَ تمثيلُ الشخصِ الذي يعانِي منها بكرامةٍ.

أدركتُ أنَّ هذا انعكسَ في المجتمعِ: كانَ الكثيرُ منَ الأشخاصِ ينظرونَ إلى الندوبِ بذهولٍ من التشوهِ المروعِ، وأردتُ التركيزَ على واقعٍ مختلفٍ وأكثرَ لطفًا. لأنَّ الكثيرَ منَ الندوبِ ليستْ نتيجةً للعنفِ أو سوءِ المعاملةِ.

فأحيانًا تكونُ بسببِ حوادثِ السياراتِ، وأحيانًا بسببِ الماءِ المغليّ أوِ الحرائقِ.

فقدْ كانَ سببَ ندبةِ هذه المرأةِ التي تظهرُ في الصورةِ حادثٌ مروريٌّ. وعلى الرغمِ من أنَّ هناك في كثيرٍ منَ الأحيانِ قصصًا طويلةً وراءَ ظهورِ الندوبِ، فإنَّنِي أفضِّلُ التركيزَ على التأثيرِ الدائمِ الذي تتركُهُ؛ ليسَ فقط على الأثرِ الجسديّ، ولكنْ على الأثرِ الذي تتركُهُ في نفوسِ الناسِ وشعورِهِمْ. لأنَّ، في كثيرٍ منَ الأحيانِ، مشاعرَنَا هي التي تبقَى؛ وتدومُ أكثرَ منَ الندباتِ نفسِهَا التي تتلاشى وتختفِي في النهايةِ.

هذه الصورةُ والمجموعةُ التي تنتمِي إليها هي شخصيةٌ جدًّا بالنسبةِ إليَّ. لقدْ تركَ لي حادثُ سيارةٍ في طفولتِي ندبةً كبيرةً لا تزالُ موجودةً حتى اليوم. وكامرأةٍ نيجيريةٍ، أردتُ أن أكتشفَ كيفيةَ تأثيرِ مجتمعاتِنَا في الطريقةِ التي ننظرُ بها إلى ندوبِنَا وكيفَ نتعرَّفُ على أجسادِنَا من جديدٍ. لقد كبرتُ ولم أتأثرْ بندبتِي، لكنَّ تغيُّرَ المجتمعاتِ غيَّرَ قصتِي.

عندما كنتُ طفلةً في نيجيريا، أتذكرُ كيف تمَّ علاجُ ندبتِي - لقد كان الأمرُ واقعيًّا ومكشوفًا للغايةِ. قد يتساءلُ الغرباءُ: "يا إلهِي، ماذا حدثَ؟" ولكنْ عندما انتقلتُ إلى أمريكا للدراسةِ، كانَ الناسُ يحدقونَ من دونِ قولِ أيِّ شيءٍ ثُمَّ يُبعِدُونَ نظرَهم. لأولِ مرةٍ في حياتِي، كنتُ أشعرُ بالخجلِ من نفسِي.

ومعَ استمرارِ هذا المشروعِ، بدأتُ في التقاطِ لقطاتٍ أقربَ لندوبِ الأشخاصِ؛ في بعضِ الأحيانِ تكونُ الصورُ قريبةً جدًّا بحيثُ يصعبُ التعرفُ عليها: هلْ تمثلُ ندوبًا على جلدِ شخصٍ ما، أم أنَّهَا تمثلُ منظرًا طبيعيًّا؟ كان منَ الصعبِ اكتشافُ ذلكَ، وأحببتُ ذلكَ للغايةِ. تعكسُ أنماطُ شفاءِ بشرتِنَا التغييراتِ التي تحدثُ في الطبيعةِ.

تمثلُ هذه الصورةُ التي تمَّ التقاطُهَا بكاميرا Canon 5D Mark III نقطةً مركزيةً للمشروعِ، وهي تسعَى إلى إنشاءِ صلةٍ بينَ العلاماتِ التي تُتركُ على جسدِنَا والعلاماتِ التي تُتركُ في عالَمِنَا. وهذَا هو الهدفُ المنشودُ: إظهارُ أوجهِ التشابهِ بينَ عمليةِ الشفاءِ في أجسادِنَا وأنماطِ التغييرِ التي حدثَتْ سابقًا في العالَمِ الطبيعيّ.

أُحِبُّ التأثيرَ الذي يتركُهُ هذا النهجُ في عقولِ الأشخاصِ. ويحوّلُ منظورَنَا وتركيزَنَا على كيفيةِ نظرنَا إلى الندباتِ. هذا يحفزُ فضولَنَا ويساعدُنَا في النظرِ إلى ما هو أبعدُ من الضررِ الذي لحقَ بأجسامِنَا، بدلاً من النظرِ إلى طريقةِ شفائِنَا.

لقد كنتُ أتعجبُ دومًا من ذهولِ الأشخاصِ بالتركيزِ على التفاصيلِ المروعةِ حولَ الحالةِ التي أصبحَ المصابُ عليها. كنتُ أرغبُ في تصحيحِ التوازنِ والتركيزِ قليلاً على الفضولِ المَرَضِيّ حولَ ما يجدُهُ الأشخاصُ "مختلفًا" بالنسبةِ إليهم. وأردْتُ أن أتخلصَ من هذا الهوسِ ومنعَ سردِهِ. فأنا أخفِي الوجوهَ والأجسامَ، فأتخلصُ منَ الهوسِ المَرَضِيّ، ولا يبقَى إلَّا الفضولُ.

في أثناءِ العملِ على هذا المشروعِ، قال لي شخصٌ ما: "يركزُ الناسُ على الندبةِ وينسونَ الإصابةَ". وبقيتْ هذه العبارةُ عالقةً معِي. ماذَا لوْ لمْ ننظرْ إلى الندباتِ بهذه الطريقةِ؟ ماذا لو رآها الناسُ من منظورٍ مختلفٍ، كعلاماتٍ جميلةٍ؟ كانَ من السهلِ بالنسبةِ إليَّ أن أرى صلةً بينَ العلاماتِ الموجودةِ على أجسادِنَا والمظاهرِ الموجودةِ في الطبيعةِ، وآمُلُ أنْ يتمكَّنَ الآخرونَ من رؤيةِ ذلكَ من خلالِ صوري.

آمُلُ أنْ توضحَ هذه الصورةُ أنَّ الطريقةَ المتأصلةَ التي تحدثُ عندَ تجددِ أجسامِنَا هي ظاهرةٌ طبيعيةٌ. وينبغِي للمجتمعِ أن يحتضنَهَا لَا أنْ يعترفَ بها فقطْ.